النشاط الاجتماعى

لوزارة الشؤون الاجتماعية

بناء الأسرة ، بيوت الطلبة ، السجان ، الخدمة الاجتماعية للعمال

(١)

من الإحصائيات المزعجة تلك الإحصائية التى نشرت عن الزواج والطلاق ، فاستدعت من وزارة الشؤون الاجتماعية الاهتمام والبحث فى العلاج .

تقول هذه الإحصائية المزعجة : إن ثمانمائة ألف زواج قد تم فى خلال العام ، وأن مائة ألف طلاق قد وقعت فى هذه المدة نفسها . ومعنى هذه الأرقام أن حالات تحطم الأسر بلغت ثلاثة وثلاثين فى المائة من حالات البناء ، وهى نسبة مروعة ولاشك . فالجيش الذى يفقد ثلثه فى الميدان يصبح عاجزاً عن القتال ، والأمة التى يتحطم ثلث بيوتها تغدو مهددة بالعجز عن الكفاح فى الحياة .

إن الطلاق معناه تحطيم أسرة ، ووراءه — فى معظم الحالات — تشريد أطفال ، وقد ورد فى التقرير الذى رفعه مدير مكتب الآداب الى معالى وزير الشؤون الاجتماعية عن المتشردين قوله : "أما الطلاق فواضح الأثر شديد الخطر الى حد بعيد فى تشرد الأحداث ، فالذى يلاحظ من حالات كثيرة مرت بنا أن يطلق الرجل زوجته وقد رزق منها بأطفال ، ثم يتزوج غيرها ولا يهتم بأطفاله ، أو أن ماهو فيه من حالة فقر وبؤس لا يمكنه من الإنفاق عليهم ، وتضطر الزوجة الى الزواج وتسرح أبناءها فلا يهتم بهم أب ولا أم . والنتيجة لذلك هى تشردهم . وللحرية المطلقة فى الطلاق خصوصا بين الطبقة العاملة والطبقة الفقيرة أثر اجتماعى بعيد الغور وإذا كان الحديث الشريف يقول : "إن أبغض الحلال عند الله الطلاق" فانى أعتقد أن فى الشريعة الإسلامية من القيود ما يدفع أو يقلل من هذه الأضرار" .

وقد اتجهت وزارة الشؤون الاجتماعية بالفعل إلى تقييد حق الطلاق بإيقاعه أمام القاضى حتى تفسح المجال أمام الزوجين للتروى وللصلح إذا أمكن الإصلاح ، وفى هذا ما يتفق مع النظام الإسلامى إذ يقول القرآن الكريم : "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا" .

فالقاضى حين تعرض عليه حالة طلاق يستطيع أن ينفذ أمر القرآن بمحاولة الإصلاح على وجه قد يمنع من وقوع هذا الحلال البغيض عند الله .

وما من شك فى أن هذا الإجراء سيعالج كثيرا من الحالات التى تنشأ عن التسرع والغضب . ولكن المشكلة أعمق لأن منشأها هو إخلاص الحياة العائلية وانحلال الروابط الزوجية ولهذا أسباب متشابكة فى حاجة إلى علاج عميق .

لقد كان الطلاق فى كل عهد مباحا كما هو اليوم ، ولكنه كان عارا اجتماعيا تستحى منه الأسر الكريمة ، وكان هذا الحياء يمنع كثيرا من الأزواج أن يطلقوا ، كما يمنع كثيرات من الزوجات عن طلب الطلاق ، وكثيرا ما كانت هذه الحالة تنتهى إلى تراض بين الزوجين ولو من أجل "خاطر" الأولاد !

كان هذا يوم كان فى الوجوه حياء ! أى قبل أن يغرق العاقون منا بالحرية المطلقة ومعناها فى عرفهم الإباحية ، وقبل أن نتجرد من تقاليدنا الشرقية الروحية لنتخذ الأمم المنحلة فى الغرب قدوة لنا وأسوة ، ولا نتخذ من الأمم المتينة الخلق فى الغرب نفسه هاديا ومرشدا .

كان هذا يوم كان فى الوجوه حياء ! فلم تكن المجلات الرخيصة تنشر فى أبرز صفحاتها أخبار الطلاق بين من تسميهم "الطبقة الراقية" وما هم إلا "الطبقة النافهة" وكان هذا الطلاق أمرا عاديا أو "مودة" من "المودات" التى يختص بها "أولاد الذوات" ومن يريدون التشبه "بأولاد الذوات" !

كان هذا يوم كان فى الوجوه حياء ! أى قبل أن نأخذ تقاليدنا من الأفلام السينمائية الداعرة التى تمثل الأوساط المنحلة ، وتتخذ من أخبار زواج الممثلات وطلاقهن مادة للإعلان عن الروايات ، فنحسب نحن فى سذاجة وغفلة أن الحياة كلها فى الغرب كذلك ، وأن علينا إذا شئنا التفرنج أن نحيا كهذه الحياة !

فعلينا اليوم كخطوة أولى فى سبيل تنقية الأفكار والنفوس من هذه القذارة أن نراقب المجلات الرخيصة فنمنع من النشر أخبار الطلاق وأخبار الشقاق العائلى مهما تكن الأحوال .

وأن نراقب الإذاعة والمنولوجات فى الصالات وسواها فنمنع منها كل ما يصور الحياة الزوجية صورة مشوهة أو صورة داعرة بلا مبرر من الفن الإنسانى ، الذى قد يعرض هذه الشؤون عرضا إنسانيا رفيعا تباح معه المحظورات .

وعلينا أن نعنى فى تربية البنات المدرسية ببث روح الأسرة فى نفوسهن ، فإن مما يؤسف له أن تكون نعرة الحرية الشخصية فى صورة مشوهة هى التى تملأ رءوسهن الصغيرة باسم المساواة كما صورها لمن " هلافيت " الكتاب التافهين !

وعلينا أن نوقظ فى نفوس شبابنا بقدر المستطاع روح الجد والاهتمام ببناء الأسرة ، فلا ندعهم يفهمون أن الفلت من قيودها هو الطلاقة اللائقة بالرجال الحديثين !

وعلينا — فى الأوساط الشعبية — أن نقوم بدعاية دينية واسعة ضد الطلاق فى المساجد والمحافل والمجتمعات ، فإن هؤلاء الناس يتأثرون بالدعاية الدينية قبل كل شىء ، وليكن شعار الوعاظ : "إن أبغض الحلال عند الله الطلاق" .

وعلينا بعبارة واحدة : أن نطهر المنبع قبل المصب . فذلك أفضل علاج .

(٢)

فى خطاب العرش وعدت الحكومة بإنشاء مطاعم خاصة لطلاب الجامعات الثلاث ، وقد نوهنا فى العدد الفائت بما لهذا المشروع من قيمة فى حياة الطلاب .

وبعد ذلك تبين أن وزارة الشؤون الاجتماعية تضمر للطلبة أكبر مما أعلنت ، وتفكر لهم فى خير أكثر مما نفذت ، إذ هى تفكر فى " بيوت الطلبة " .

وقد سمعنا من قبل عن " حى الجامعة " ولكنه كان إحدى الأمنيات العذبة التى طالما مست قلوبنا وصاغ اسمها آذاننا بلا نتيجة محسوسة .

أما اليوم فلنا أن نؤمل خيرا لأن الوزير الذى يفكر فى هذا المشروع هو رجل أثبت أنه يعنى ما يقول ، وينوى ما يعلن عنه من المشروعات .

"بيوت الطلبة" ... إنه لحلم جميل يتحول إلى عمل جليل ، فآلاف الطلاب فى القاهرة وفى الاسكندرية يعيشون بعيدين عن أهلهم شبه مشردين ، وبعضهم يأوى الى أحياء قذرة فى شكلها وفى بيئتها ، وبعضهم يأوى الى أوساط مفسودة فى مظاهرها ودخائلها ، وجميعهم لايجد الراحة الضرورية للتعلم والتحصيل .

وهؤلاء المشردون فى أيام الدراسة هم رجال الغد ، بينما أخلاقهم وأذواقهم تتكون فى هذه البيئات أكثر مما تتكون فى المدرسة والجامعة بحكم التعامل والتقليد والحياة .

على أن وجود أحياء للطلبة لن يعصمهم فحسب من هذه الحياة المشوشة التى يحيونها فى أوساط لا تساعدهم على النشأة الطيبة والمعيشة المريحة ، بل سيخلق بيئة علمية وجوا خاصا ، يساعدان على تكوينهم عقليا واجتماعيا تكوينا صالحا .

فعسى ألا تقوم العوائق المالية فى طريق هـذا المشروع الجليل ، وإن فيه لمتسعا لمن يريد التبرع بالمساهمة فى تكاليف المشروع ، إذا أعد المسئولون بيانات واضحة عن تكاليفه وعما يطلب من الموسرين المساهمة به ، وليس أدعى إلى الحماسة فى التبرعات من وضوح القصد وتحديد الأهداف .

(٣)

فى العدد الماضى من هذه المجلة تحدثنا عن " إصلاح السجون " وقد ألفت لجنة لهذا الغرض برياسة معالى وزير الشؤون الاجتماعية المتحمس لهذا الإصلاح، المتقزز من الأوضاع الحاضرة وتخلفها عن روح العصر الحديث .

ومما يدل على اتجاه هذه اللجنة ما قررته من أن وظيفة " السجان " من أهم الوظائف فى السجون وأنه ينبغى أن يعين لها أشخاص نالوا نصيبا من الثقافة والتهذيب، ولذلك قررت قصر وظائف السجانين على من يحملون شهادة مدرسة الخدمة الاجتماعية .

وإنه لقرار بديع ، وإن بعضهم ليرى فى الانتقال من الجندى الجاهل الجافى إلى المتخصص فى الخدمة الاجتماعية طفرة كبيرة ، ولكنها طفرة واجبة تلاحق بها خطوات العصر الحديث ، ونكفر بها عن التخلف الطويل .

لقد كانت الجملة المكتوبة على باب السجون : " السجن تأديب وتهذيب وإصلاح " هى أكذب جملة كما يقول معالى الوزير فى حديث له . فكل ما قررته اللجنة إنما هو جعل هذه الجملة صادقة وتحويلها إلى نص صحيح .

وفى سجون العالم المتمدين توجد " عيادة بسيكلوجية " للفحص عن حالات المسجونين ونفسياتهم وظروف إجرامهم، ولعلاجهم كلما أمكن العلاج. وعن هذه العيادة تصدر تقريرات فى غاية الأهمية عن الجريمة والمجرمين ينتفع بها المشرعون وعلماء الإجرام وعلماء النفس والروائيون .

وعليها تعتمد إدارة السجن فى " تصنيف " المجرمين واختيار نوع معاملتهم وطريقة علاجهم حتى لا يرتدوا الى المجتمع كما جاءوا منه مجرمين .

فما تشير به لجنة إصلاح السجون إنما هو خطوة أولية فى طريق الاصلاح تقابل بالترحيب وتشير إلى معالم الطريق .

(٤)

نشرت جريدة البلاغ أن رئيس جمعية مكافحة الدرن ، قابل معالي وزير الشؤون الاجتماعية وطلب اليه تخصيص مئتي جنيه من أموال صندوق إعانات العمال لمعالجة مائة عامل أصيبوا بالدرن ، فأمر الوزير لهذا الغرض بألفي جنيه لأنه رأى أن مبلغ المائتين لا يكفي للعلاج وللانفاق على عائلات هؤلاء المرضى ، وكانت نظرة الوزير شاملة للعمال ولأسرهم التي حرمت من الكسب بمرض عائليها .

وهو خبر نضيفه الى الأخبار الكثيرة عن عطف وزير الشؤون على العمال ، هذا العطف الذي ظهر في مناسبات كثيرة أصدقها أثرا تلك القوانين التي قدمها في الدورة الماضية وفي هذه الدورة الى البرلمان .

وفي هذا الخبر الجديد التفاتة جميلة هي العناية بأسرة العامل المصاب ولاسيما من يصاب منهم بهذا المرض الفظيع المعطل للجهد المنطلب للراحة حتى بعد الشفاء .

إن كثيرين من العمال يقضي عليهم هذا الداء لأنهم يضطرون معه للعمل ضمانا لقوت عيالهم ونسائهم وحفظا لهم من التشرد المهين . فاذا شفوا عادوا مسرعين الى أعمالهم لهذا السبب فيعود عليهم الداء الوبيل ، عدو العمل والجهاد .

فمضاعفة المبلغ عشرة أضعاف لفتة إنسانية كريمة ونظرة اجتماعية واسعة تستحق الشكر .

إني لأعجب من قول غررت به ... حلو يمد إليه السمع والبصر
لو تسمع العصم من شم الجبال به ... ظلت من الرابيات العصم تنحدر
كالخمر، والشهد يجري فوق ظاهره ... وما لباطنه طعم ولا خبر
وكالسراب شبيها بالغدير وإن ... تبغ السراب فلا عين ولا أثر
لا ينبت العشب عن برق وراعدة ... غراء ليس له سيل ولا مطر